حول مشروع اللغة العربية الأساسية

الدكتورة ابتسام مرهون الصفار

كتب الدكتور عمر فروخ مقالا فى (مشروع العربية الاساسية ، عرض المشروع وتبيان خطره على الفصحى) ونشره فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (المجلد الثامن والاربعون الجزء الرابع لشهر تشرين الاول 1973 — رمضان 1393 ص 817) حين قرات هذا المقال لم اكن قد اطلعت على صيغة المشروع ولم اسمع به حتى وصلتنى نسخة منه فتلقفتها بلهفة من يطلب الحقيقة ، ويبغى العلم ، وينشد الخير كل الخير للغته وامته ، ثم عدت الى مقالة الاستاذ الفاضل الدكتور عمر فروخ اقراها مرة اخرى وانا ابارك الروح العالية والهمة العظيمة التى تدفع افذاذا من امتنا العربية للذود عن لغتها ، وتوجيه الانظار الى الاخطار المحدقة بها ، وتقويم السبل الى تعليمها وتيسيرها ، واضفت الى ما كتبه صاحب المقال الفاضل بعض الملاحظات التى اود ان اسجلها هنا راجية ان اسهم فى تبيان بعض اوجه الخطأ فى تطبيق مشروع تحديد اللغة العربية الاساسية .

ذكر الدكتور فروخ ان الغاية من مقاله ليست البحث المطلق فى العربية الاساسية من حيث هى موضوع علم نظرى ، ولكن الغاية بسط هذا المشروع الذى وضعته للبنان ولعدد من الاقطار العربية مؤسسة فورد الامريكية وهى التى تموله . والداعى الى عقد هذا المقال اليوم هنا تنبيه افكار العاملين فى حقل اللغة العربية الى الاخطار التى ينطوى عليها هذا المشروع من الجانب المنوى تطبيقه ..) ثم استطرد متحدثا عن جلسات مؤتمر تحديد اللغة العربية الاساسية الذى دعا اليه المركز التربوى للبحوث والانماء فى وزارة التربية الوطنية بلبنان حيث استضاف المدعوين الى المؤتمر مؤسسة فورد المذكورة وحيث عقد المؤتمر فى شهر حزيران من عام 1973 م وفى حديثه هذا سجل لنا ملاحظات مهمة لم نجدها فى المشروع المنشور وانما هى مناقشات دارت بين المؤتمرين وكشفت نوايا بعضهم فى سبب دفاعهم عن هذا المشروع والتزامهم بنهجه وطريقته مما يكشف خطر المشروع على العربية الفصحى . أما ملاحظاتى التى اود ان اضيفها الى مناقشات الدكتور عمر فروخ فهى انه يمثل دعوة جديدة للاستفادة من آخر ما توصل اليه العلم الحديث من

وسائل الاحصاء وهو استعمال العقل الالكترونى لدراسة احصائيات لمفردات العربية الفصحى والعامية اللبنانية) وتراكيبها النحوية للوصول الى لغة اساسية مشتركة تيسر تعليم اللغة العربية للطلبة فى المرحلة الابتدائية وتيسر تعليمها للاجانب ممن يرغبون فى تعلم لغة العرب ·

لو صدقت نوايا القائمين على هذا المشروع واتخذوا نهجا شعريا لتوصلوا حقا الى غايات علمية وتربوية (كما نص على ذلك فى المشروع نفسه) الا ان المنهج الذى وضع له يؤدى الى مردودات سلبية تمحو الغرض الجليل الذى يرتجى منه ·

1 — ورد فى الصفحة التاسعة (ليس المقصود بالعربية الاساسية ما يجب ان تكون عليه اللغة (بحسب معايير جامدة وافقت العصور الماضية) او ما يمكن ان تكون عليه بحسب مشاريع اصلاحية وتحديثية قد اقترحها اناس مهتمون بالتجديد ولكن بذهنية تستند فى اصلاحاتها الى الرجوع لهذا او ذاك من الشواهد النادرة التى وردت عند القدامى) **المقصود فقط وصف اللغة كما هى بطريقة موضوعية وعلمية وتعيين تواتر** المفردات والتراكيب) ·

ان اللغة العربية اثبتت حيويتها وقدرتها على التطور والتجديد ومواكبة التطورات فى مختلف العصور ، اللغة التى استطاعت ان تخرج من نطاق الصحراء وتعبيراتها الضيقة الى عالم الحضارة الواسع لتعبر عن كل ما جد فى هذا العالم الجديد من علوم وفنون ومصطلحات ، هذه اللغة نفسها قادرة على مواكبة التطور الحديث فى عصرنا هذا ·

ان الدعوة الى وصف اللغة كما هى واستخراج المفردات والتراكيب التى تشكل اللغة الاساسية منها ، هذه الدعوة تعارض ما تدعو اليه المجامع العربية والدول العربية شعوبا وحكومات لتعريب العلوم والمصطلحات ، لان وضع اللغة على ما هى عليه الآن يعنى مثلا ابقاء اللغة الفرنسية فى المغرب العربى وجعلها اللغة الاساسية لان الاستعمار الفرنسى ادى الى شيوع اللغة الفرنسية بين اوساط العرب والمسلمين فلما تحررت دول المغرب العربى عمدت الى التخلص من التركة الاستعمارية فى لغتها والعودة الى اللغة العربية الاصيلة · ان مجرد التفكير بهذه النتيجة ، كاف لرفض وسيلة تطبيق هذا المشروع . والامة العربية كلها تدعو الى رفع الحواجز التى تفصل بين ابنائها فى ارجاء الوطن العربى وتوكيد العامية وادخالها فى اللغة الاساسية يعنى تعميق وترسيخ عائق كبير من العوائق التى تحول دون الوحدة العربية ·

2 — ان اخذ العامية بنظر الاعتبار واعطائها الاولية فى الاحصاء يعنى اشاعة العامية واللهجة المحلية وتصعيدها فى كل قطر عربى ونسيان اللغة العربية الفصحى التى تمثل الرابط القوى الذى يربط الامة العربية بعضها ببعض ، وتعرف العربى بأخيه العربى فى اى مكان وجدا من العالم ·

3 — ورد فى الصفحة الثالثة من المشروع (يجب ان نعرف ما يملكه التلميذ اللبنانى الذى يبدأ دراسة اللغة العربية عند وصوله الى المدرسة ففيما يخص العربية هو يتكلم العامية التى تعلمها فى حضن امه ، وفى عائلته وبين اترابه ، بالنسبة اليه لغته الام هى هذه ، لهذا وجب علينا ان نعرف هذه اللغة فى صوتياتها ··)

لو قيل هذا قبل خمسين عاما او اكثر لوجدنا له مبررا لان العربى فى لبنان او مصر او العراق بحكم واقعه المتخلف والجهل المطبق على الاسرة فى المجتمع العربى آنذاك جعل معرفته لعربيته الفصحى محدودة · اما اليوم فان اطفالنا يستمعون الى الراديو ويشاهدون برامج التلفزيون ، ويستمعون كل يوم الى شتى الاحاديث والبرامج بالعربية الفصحى فلا بد ان يعلق فى اذهانهم شىء منها ، حتى اذا دخلوا المدارس لم تكن مفردات لغتهم من العامية ، وحدها ولم يكن ذهنهم مغلقا على ما سمعوه فى عائلتهم فقط بل كثيرا ما يدخل اطفالنا المدارس وهم يحفظون اناشيد باللغة العربية الفصحى ·

4 — ورد فى الصفحة العاشرة (ليس المقصود التعرض للغة الماضى لا لشىء الا لان مسها لا يجوز لاسباب يمليها العقل والمنطق السليم ، فالعربية القديمة قائمة على مجموعة من نصوص مختلفة لها شكلها النهائى الثابت ، وليس المقصود ايضا التضحية بالماضى بل تيسير الوصول اليه بأرجاء دراسته الى مرحلة لاحقة يكون التلاميذ قد اعدوا

فيها اعدادا كافيا لفهمه وتذوقه وتمثله ، فالعربية الاساسية تهدف اذن وقبل اى شيء آخر لا الى تبسيط اللغة بل الى تيسير تعليمها لتلامذة المرحلة الابتدائية) .

ونحن نقول اذا تعذر علينا ان نعلم الطفل اللغة العربية الفصحى فى المرحلة الابتدائية ونسير معه بتدرج يوافق تفكيره وعمره فكيف يتيسر له ان يتعلمها فى مرحلة لاحقة ؟ (1) .

5 — وضعت فى المشروع شروط العينات لاستخراج العربية الاساسية (ص 40) (المدارس الرسمية والخاصة ، الذكور والاناث ، المدينة والريف ، المسلمون والمسيحيون) .

ان توزيع العينات على مختلف القطاعات الشعبية فكرة جيدة ومقبولة الا ان النص على اختلاف الديانة فكرة مرفوضة لان العربى مسلما كان او مسيحيا يأخذ بنفس وسائل الثقافة التى يأخذ بها ابناء عصره ، ويتأثر بكل التيارات المحيطة به وبالتالى فان النص على تمييز العينات فى هذه الناحية ، قد يؤدى الى تعميق الفوارق ، وترسيخ الخلاف فى مجتمع ينشد الوحدة والالفة بين ابنائه .

6 — ان استخراج العربية الاساسية ، بأخذ عينات فى قصص ومسرحيات مؤلفة بالعامية ، ونصوص محكية بالعامية ايضا امر مردود وغير مقبول للاسباب التى سبق ذكرها ، واذا كانت هناك وسيلة للوصول الى اللغة العربية الاساسية لا للبنان ومصر والعراق فقط بل لكل الامة العربية فهى تتم بأخذ عينات فى الكتب المكتوبة بالعربية الفصحى فقط والمؤلفة فى شتى الميادين الادبية والاجتماعية والسياسية فهذه تمثل بالتأكيد اللغة الحية التى جسدت الفكر العربى المعاصر واللغة المشتركة التى يقراها العرب جميعا ويفهمونها جميعا بغض النظر عما هم عليه فى لهجات محلية .

---

(1) وهذه هى الطريقة التى كانت متبعة فى البلادالعربية ايام ازدهار الفكر والحضارة ، اذ كانوا يبدأون بتعليم القرآن وحفظ اشعار العرب والفصيحمن الكلام كفصيح ثعلب . وانظر ابن خلدون فى هذا الصدد .